

# غادة شبير في «مسرح بابل» الموشحات والأدوار في خطى واثقة

## سحر طه

أطلت غادة شبير أول من أمس على عشاق التراث العربي في «مسرح بابل» ضمن «أماسي رمضان»، وكان نتاجات زمان باتت قدرها الذي تسير إليه برغبة كبيرة وخطى واثقة، لتترك أثراً طيباً في كل مرة لدى جمهور يتسع، تباعاً، استعادت هذه المرة أيضاً «قوالب» عرفت في تاريخ الفن الغنائي على مدى عقود.

غادة التي يعرفها كثيرون وقصدوا أمسياتها الأخيرة، وهي الفنانة الأكاديمية، الملتزمة، الحرفية، سمعوا بالضبط ما كانوا يريدون أن يسمعوها منها، وهي بهذا المعنى، خطت لها طريقاً واضحة، منذ سنوات قليلة، لها معالم وإشارات وتقطعة انطلاق

وأخرى للوصول، ومعظم هذه «القوالب» أو الأشكال الغنائية تكاد تذوي، ويعطوها النسيان ليحل مكانها نوع غنائي واحد تقريباً هو «البوب»، أو «الشعبي» بمعناه الاستهلاكي اليومي، لا بمعناه النبيل الطالع من يوميات الناس.

هذا إذا استثنينا بعض النتاجات من مطربين ما يزال بعضهم ينتج «القصيد» مثلاً، أو الأغنية الطويلة، وبعض المواويل الملحقة بالأغنيات، من دون العودة إلى قوالب مثل «الدور» على سبيل المثال، أو «الموشح» أو «الطقوقة» المعروفة أيام سيد درويش وغيره،

عشق غادة لفن أيام زمان، وتفننها في أدائه واستلهامها رموزه، دافعها القوي نحو الاستمرار في تقديم أعمال بعضها غير

مألوف، أو غير متداول كثيراً اليوم، إلا فيما بين الدارسين المتخصصين في الموسيقى العربية، وهي جراحة منها تقديم موشحات مثل «منيتي عز اصطباري» على مقام النهاوند، أو «أهوى قمراً» على مقام الصبا، «كلما رمت ارتشافاً»، أو موشح «بالليل الصب متى غده»، وتقول الموال وإن بشكله المبسط لكن الأسر على السمع والمبهر الذي يبين إتقان الصوت ودقته في جواباته وقراراته على نحو ممتع ومؤثر.

وتستمتع غادة وتطرب وتبعث الطرب والسلطنة إلى جالسها في الصالة مع دور «أنا هويت وانتهيت» للشيخ الراحل سيد درويش أعادتنا بالذاكرة إلى صوت الفنانة الكبيرة سعاد محمد حين أعادت تسجيل هذا الدور المبدع بإعادة توزيع وتنسيق من الموسيقي الكبير الراحل توفيق الباشا، وأبدعت فيها إلى حدود بعيدة، وليت غادة أكملت الدور بأهاته ونهاياته المتصاعدة.

وكما في الدور أيضاً في القصيدة، إذ تهادى صوت غادة الطري على أنغام قصيدتي «يا جارة الوادي» و«مضناك» وهما لأحمد شوقي ومحمد عبد الوهاب وفيهما انسابت الخامة وتعالقت القدرة على الإحاطة بأدق التفاصيل وتقديمها وكأنها السهل الممتنع، هي تجعل الصعب أداءً سهلاً على الأذن، رقرقاً على القلب، تحلو همسة ويغيب سماع النوتات العالية منها، شغف هو سماع غادة تؤدي على المسرح بإتقان وهوية وهدوء.

كل هذه السمات المميزة لدى غادة شبير، تشفع لها هنات نادرة، تحدث مع أي مطرب مبدع، في الحفلات الحية، ومثالنا في هذا الراحلة أم كلثوم، وغيرها. وهي المرة الثانية التي سمعت فيها غادة تغني «مضناك جفاه مرقد»، بإتقان وحرفية بالغة كما في مخارج الحروف الواضحة الصريحة لديها، وكنت في حفلة سابقة، أشرت وأعود اليوم لأشير وبكل محبة، إلى لفظها كلمة «مضناك»، وقد سمعنا الراحل عبد الوهاب يمد الكلمة على الألف حسبما تفرضه قاعدة المد على حروف العلة (الواو والألف والياء)، فتعود غادة لتغنيها كما لو أن فتحة على النون «مضناك» ما أثر على الإيقاع أولاً وعلى قفلة الجملة، ثم على جمالية لحن الكلمة، وما يمنحه المد على الألف من أثر عميق على الأذن، وربما كانت رغبة غادة في بعض التغيير عن الأصل، لكنه لم يكن تغييراً إيجابياً.

إذن غادة شبير استطاعت بعد جهود ودراسة أكاديمية، مكنتها من السباحة عكس التيار، ومصارعة أمواج الفن العاتية بكل خفة ودراية وذكاء وإرادة قوية، لتثبت اسمها ضمن الفنانة الجادات.

أمسية غادة شبير هي ما قبل الأخيرة قبل أن تختتم الفنانة أميمة الخليل أمسيات مسرح «بابل» الرمضانية، لتحيي أفراح عيد الفطر، بوصف الثالث والرابع من تشرين الأول المقبل.



(أحمد عزاقر)